البيئة الثقافية وأثرها على نتاج الخزف العراقي المعاصر

الباحث محمد عباس صاحب

كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل

ملخص باللغة العربية

يتناول البحث الحالي تأثير البيئة على الإنتاج الثقافي العراقي للفن السيراميكي المعاصر ، وتأثير البيئة الثقافية على طبيعة الاختلاف في هذه الحالة يكون اختلافًا في استوديو الإنتاج الفني ، ولديه مشكلة بعد البحث عن الأسئلة التي ظهرت:

• هل تشكل المراجع الثقافية أنواعًا مختلفة من الضغوط على تشكيل الأعمال الخزفية العراقية المعاصرة؟

• هل ساهمت بالمفاهيم والعادات والتقاليد الاجتماعية في تنوع تركيبة الخزف بإظهار تقنيات الأداء والمخرجات؟

إما حد من البحوث حددت النقاط التالية:

الحدوديّة: الآمال الفينيله الخزفيّة.

القدومالمكنه: العراق

الحدالزامانية: ٢٠١٠ - ١٩٦٥ Athddseathalhalemenaam

*** أما فيما يتعلق بتحديد المصطلحات ، فقد تضمن مفهوم (البيئة) من حيث علاقتها وعلاقتها بالبحث الحالي وعلامة (البيئة الثقافية وتأثيرها على الخزف العراقي المعاصر).**

• يتكون الفصل الثاني من ثلاثة أقسام (البيئة الثقافية والخصائص في المجتمع). القسم الثاني (البيئة الثقافية وآلية التوظيف في الخزف العراقي المعاصر)

• شملت إجراءات البحث في الفصل الثالث مجتمع البحث الذي شمل (٨٩٥) وفقاً لفنانين خوزفيا العراقيين ، وعينة وكذلك منهجية بحث وصفية وتحليلية وأخيرًا تحليل عينة البحث.

• الفصل الرابع الذي ظهر نتائج البحث الأكثر أهمية

قسم من البيئة الثقافية المحلية المؤثرة التمثيله بشعبية تراثية ظهرت أعمال سيراميك (قوم) نشأت من القيم الروحية شكلت انعكاسا للتقاليد والأعراف الاجتماعية التواصل البصري مع الصورة الذهنية للمتلقي من خلال مفردات الفلكلور التجاري في صياغة أعمال فن السيراميك بحيث أن هذه الظاهرة الثقافية الظاهرة للإنتاج الثقافي في المجتمع العراقي ، بسبب خصوصية علم النفس والإلهام الأسطوري شملت البيئة الثقافية للواقع الفيزيائي المحلي ظهرت مفردات المفردات Aelchenachel domes and Doors وغيرها من الألوان ، فقد عبرت عن مشاعرها وجمالها قيم تاجمحييلكلكله عليكم اليونيكونزلوه التراث الشعبي المحلي للعراق.

عرضت مجموعة من الأعمال الخزفية المستمدة من التراث الثقافي القديم في بلاد ما بين النهرين ، وشكلت الفن السومري التاريخي والأسطوري ، والبيئة الثقافية الأكادية والبابلية والآشورية ، وشكلت الإنتاج الثقافي للرموز الرمزية للمفاهيم الفكرية والدلالات ، التي ظهرت من خلال رؤية البيئة الميتافيزيقية الأسطورية الحضارة العراقية القديمة.

الاستنتاجات النهائية وقائمة المصادر العربية والأجنبية

Research Summary

The present research deals with the impact of the environment on the Iraqi cultural production of contemporary ceramic art, and the impact of the cultural environment on the nature of the difference. In this case, there is a difference in the studio of artistic production.

•Are cultural references different types of pressure on the formation of contemporary Iraqi ceramics?

•Have you contributed to the concepts, customs and social traditions in the diversity of porcelain composition by showing the techniques of performance and output?

Either a limit of research identified the following points:

Borderline: Vesicular-Colloidal Expectations.

Arrival: Iraq

Hemorrhoids: Athddseathalhalemenaam ١٩٦٥ - ٢٠١٠

As for the definition of terminology, it included the concept of "environment" in relation to its relation to current research and the mark (cultural environment and its impact on contemporary Iraqi ceramics.(

•The second chapter consists of three sections (the cultural environment and the characteristics of society). Section II (Cultural environment and the mechanism of employment in contemporary Iraqi ceramics(

•The research procedures in the third chapter included the research community, which included (٨٩٥) according to the Iraqi artists of Khuzia, and a sample as well as descriptive and analytical research methodology and finally analysis of the research sample.

•Chapter ٤ shows the most important search results

A section of the influential local cultural environment represented by popular heritage. The works of ceramics emerged from the spiritual values which formed a reflection of the social traditions and customs. Visual communication with the mental image of the recipient through the vocabulary of commercial folklore in the formulation of works of ceramic art so that this phenomenon is cultural phenomenon of cultural production in society Iraqi, because of the privacy of psychology and legendary inspiration included the cultural environment of local physical reality appeared vocabulary vocabulary Aelchenachel domes and Doors and other colors, has expressed its feelings and beauty values Tajmihilk you Alonikonzloh heritage To the local people of Iraq.

A collection of ceramic works derived from the ancient cultural heritage of Mesopotamia was presented. It formed Sumerian historical and mythological art, the oppressive cultural environment, Babylonian and Assyrian, and formed the cultural production of symbolic symbols of intellectual concepts and connotations, which emerged through the vision of the legendary metaphysical environment of ancient Iraqi civilization.

Final conclusions and a list of Arab and foreign sources

الفصل الاول- محددات البحث

- **مشكلة البحث**: تعد "البيئة" بمختلف مسمياتها من العوامل المهمة التي تحيط بالفنان بشكل رئيسي في تعزيز مدركاته الحسية والابداعية ، فالبيئة تشكل مصدرا مباشرا في تعزز قدرات الفنان الفكرية والمعرفية من خلال ما يقوم في إطار صياغة كل يحيطه من بيئات في انتاج أعمال فنية اتسمت بالمحاكاة والتقليد من جهة وإعادة صياغة الموضوعات من خلال التجديد والابتكار من جهة اخرى، مما أعطى للفنان مفاتيح التعبير بالتجريب في الفكر.. ومن هنا اختلف مفهوم الأشغال الفني والجمالي وعلاقته بالبيئة الثقافية المحيطة بالفنان ذاته من خلالها يمكن تحقيق المفاهيم والأفكار والفلسفات والقيم التعبيرية والتشكيلية , التي تجعل من الفن رسالة هامة، فبالإضافة لكون "البيئة" نقطة تحول من المشغولة التقليدية إلى العمل الفني المفاهيمي كذلك يعد مفهوم البيئة الثقافية مقياساً للنضج العقلى والتحرر الفكري مما أدى إلى تغير الرؤية التعبيرية المفاهيم والعادات والتقاليد الاجتماعية وطرق توظيفها في العمل الفني, لذلك أصبحت البيئة الثقافية مدخلاً هاماً في بناء العمل الفني المعاصر. وعليه فمشكلة البحث الحالي ترتبط بمرجعيات البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تشكل ضاغطا مباشرا على النتاج الفني التشكيلي الخزفي التي اختلفت وتضايفت بشكل كبير في الخزف المعاصر

لذلك يمكن تحديد مشكلة البحث الحالي بالأسئلة الآتية:-

- هل شكلت المرجعيات الثقافية باختلاف أنواعها ضاغطاً على تشكيل الاعمال الخزفية العراقية المعاصرة و أسهمت المفاهيم والعادات والتقاليد الاجتماعية في تنوع التشكيل الخزفي من خلال اظهار تقنيات الاداء والاخراج ؟

- اهمية البحث : انه يمثل إسهاما معرفيا في عرض المفاهيم والأفكار الثقافات المحلية في فن الخزف ، ومدى تأثيره بظواهر البيئة المحيطة بالفنان (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية) .
- **هدف البحث:** هو الكشف عن المرجعيات البيئية الضاغطة ومدى تأثيرها على الاعمال الفنية الخزفية .
- **حدود البحث:**
  - الحدود الموضوعية : الاعمال الفنية الخزفية .
  - الحدود المكانية : العراق .
  - الحدود الزمانية : يتحدد البحث الحالي من عام ١٩٦٠ – ٢٠١٠
- **تحديد المصطلحات:**

▪ البيئة (Environment) يعرف (بدوي) البيئة بانها المجال الذي تحدث فيه الاثارة والتفاعل لكل وحدة حية، وهي كل ما يحيط بالانسان من طبيعة ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية وعلاقات شخصية وهي المؤثر الذي يدفع الكائن الى الحركة والنشاط والسعي لذلك فان التفاعل متواصل بين البيئة والفرد فالاخذ بالعطاء مستمد متلاحق. ويضع (بدوي) تعريفه للبيئة في قسمين:

- البيئة الطبيعية Geographic Environment : التي تشمل الارض باشكالها العديدة الخصبة والصحراوية والجبلية.. وغيرها.

- البيئة الاجتماعية Social Environment: التي تتضمن النظم والعلاقات الاجتماعية والحالة الاقتصادية والصحية والتعليم... وغيرها وجميعها متصلة ببعضها[1]. التعريف الاجرائي فيعرف الباحث : بانها نظام متكامل يتألف من مجموعة العوامل والعناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تحيط بالانسان ويحيا بها.

الفصل الثاني- الاطار النظري

- **المبحث الاول : البيئة الثقافية وسماتها في المجتمع :**

أعطى مفهوم " البيئة " في شتى مناحى المعرفة الإنسانية , علماً وفلسفة وأدباً وتربية وثقافة، ويرتبط مدلولها بالنشاطات البشرية المختلفة، كونها محركاً مهيمناً للحضارة وكذلك تدخل ضمن الركائز الاساسية لها ، وعليه يمكن أن نضع تعريف شامل للبيئة يستوعب مجالات استخدامها وسماتها الفنية والجمالية، فالبيئة هي إدراك العالم المحيط بالإنسان بمفهوم خاص به وحده, سواء أكان هذا العالم عبارة عن شكل، فكرة، حدث اجتماعي، أو معلومة علمية فهي بمثابة الإطار الذى يحيط بفاعلية الانسان او الفنان ويوجهها نحو التعرف

على مزيد من العلاقات الثقافية والاجتماعية التي تشكل في حد ذاتها خبرة معينة في النتاجات الفنية والادبية , كما تنمي الثقافة البيئية الرؤية الفنية الواعية والملاحظة الدقيقة لمتغيرات الظواهر[٢].

ويؤكد البروفيسور " روي هاريسون"[٣] ان البيئة الثقافية وعلاقتها بالمجتمع هي محصلة ارتباط وتفاعل في جميع عناصرها وفنونها ومجالاتها المعرفية ، فالثقافة التي نعيها تدعو إلى التجديد بمفهوم الفكر الإبداعي ..ذلك من خلال إيجاد صياغات وحلول سواء لموضوع ما أو عنصر تشكيلي معين في الادب او الفن ، فمن خلال الادراك الفكري والمعرفة يمكن للفنان ان يبرهن على اهمية البيئة المحيطة التي من خلالها اصبح الفنان يتخذ من أسلوب البحث والتجريب منطلقاً لإدراك مفاهيم تتعلق بالبيئة الاجتماعية فنجدها حاضرة في مجالات مختلفة كالتشكيل والمسرح والموسيقى والادب ، وذلك بهدف الكشف عن مظاهر وكيفيات اجتماعية لها دلالات جديدة متنوعة وكذلك تقدم رؤية بمفهوم شمولي تشترك فيها عادات وتقاليد الأنسان وعلم الاجتماع والفنون الجميلة ومن الأمثلة التي وثقت من تاريخ الأساطير القديمة، موضحاً أن تأثير البيئة جعل من الفن أكثر ارتباطاً بالمجتمع، حيث تغير مفهوم الفن من اتجاه ذاتي خاص بالفنان إلى اتجاه عام، فأصبح هناك تفاعل إيجابي, بين الفنان والبيئة والمجتمع والجمهور.

ومن هنا تبدو أهمية الدراسات العلمية للبيئة ومنها البيئة الثقافية والتعرف من خلالها على العلاقات الأساسية للمجتمع في قانون تشكيلها الطبيعي، وثمة من يربان البيئة تحتل صدارة قضايا الوعي والفكر بمفهوم شامل ومنفتح.

فالثقافة مفهوم يجمع ثمار الفكر الإنساني ، فنان وادباً، وعليه تُصور البيئة الثقافية كمنهج لفهم كيفية تكيف الإنسان لمجموعة واسعة من البيئات في تغيير ثقافته ومنهجيته ،وفتح افاق التطور التي تغير الثقافة من خلال سمات المجتمع وهذا يؤدي إلى تطوير منهج تصرفات الفرد نحو بيئة تنسجم مع مجتمعه[٤]..حيث يجد بعض علماء الاجتماع مشكلة في ذلك خصوصاً أولئك الذين يكتبون من منظور ماركسي.. فالبيئة الثقافية تحتل مكانه مهمة فيا لفكر الانساني كونها تلعب دوراً هاماً في تشكيل ثقافات تبحث عن رؤى فنية جديدة. وتمشياً مع إدراك أهمية(البيئة) اتجاه حل المشاكل الاجتماعية والتي تواجه الطبيعة البشرية .

أن أي تكيف بشري معين هو جزء مورّث تاريخي يتضمن تقنيات وممارسات معرفية التي تسمح للمجتمع أن يعيش في بيئة معينة ، بمعنى ان تأثر البيئة على طبيعة التكيف البشري هي في الواقع تشتغل كمنظومة واحدة لها خصوصيتها الفكرية والتاريخية والاجتماعية تتميز بمركزين اساسيين:-

أولهما الصورة الذهني- وتتضمن المناهج والقيم الفكرية وما شابه ، التي تشكل بمجملها الجوهر الروحي لهوية المجتمع (الهوية الحضارية) وهذا الإطار الذي يشكل المحرك الرئيسي للصورة الاسطورية المجتمعية ، ذلك من خلال التفاعل مع الظروف التي تطرأ على المجتمع التي كانت متوارثة من جيل الى جيل .

وثانيهما الموروث الحضاري التاريخي- وهو الأطار المجسم المادي ويشمل النتاجات والممتلكات المتعلقة بالتاريخ أو الناتجة عن الحفريات الأثرية والأكتشافات المتعلقة بالتراث الفني والمواد ذات الأهمية الأثنولوجية أو الأنتروبولوجية(*) والمواد والاثار ذات القيمة التشكيلية والمخطوطات.. وغيرها(٥).

اذا التصور الأول يراه تراكمياً من الصورة الذهنية الأسطورية لأشكال الوعي تتجلى في تصورات لأفكار وتأملات ومفاهيم مجتمعية منبعها ومحركها هو الخيال والتامل والتصورات الاسطورية الميتافيزيقا ، كونها هي الخالقة للموضوعات والقيم الراسخة في مخيلة المجتمع.

التصور الثاني للتراث يقوم على المفهوم المادي الوقعي للتاريخ، وهي العلاقة بين الوعي الأجتماعي والوجود الأجتماعي وهذا المفهوم يرى في التراث شكلاً متكاملاً والهدف منه منطق يستمد التراث في رحلتها من الماضي الى الحاضر(٦).

ان الضاغط في البنية الثقافية والفنية للمجتمع يتعين أن تكون مبنية من مفاهيم ومعطيات بيئية ناتجة من وحي المجتمع ذاته.. وعليه فالبيئة هي جزء من الأدراك المعرفي للمجتمع أو كجزء من نظرة الفرد لها نحو ما يدور من حوله من قضايا ومشكلات اهمها ما يخص الجانب الاقتصادي او السياسي، وهذه النظرة لها موقفان أولهما الموقف الذي يقر بموجبه من الوجود المادي الواقعي ويميزه ويعده فناً له، وهل يتفاعل معه وكيف يتم للانسان او الفنان ان يحيلها في نتاجاته الفنية والجمالية ، أما الموقف الثاني فهو الذي بموجبه يتم إدخال سمات التراث وتفاعله في الأنتاج الفني ، ومن ثم النظر الى هذا الوجود المادي ذاتياً سواء كانت هذه النظرة خاصة بالفرد أو المجتمع ككل أو جزء منه.. وعليه فالبيئة تشترك فيها عدة روافد اهمها : التراث الشعبي Folklore ويرتكز الفلكلور على فكرة المجتمع في مقابلة النزعة الفردية وتعدد المعاني لمفهوم البيئة الثقافية . بالنسبة الى الأنتروبولوجي نوالأثنوغرافيا وحتى بالنسبة لعلماء الفلكلور، ولعل ما جاء به قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفلكلور(٧)، قد يكون الى هذا المصطلح بمفهومها العام شعبي يعني ما يتعلق بمجموعة بشرية يرتبط أفرادها بتراث مشترك وشعور خاص بالتعاطف قائم على خلفية تاريخية مشتركة تعيش ضمن حدود معينة تفصلها عن الجماعات الأخرى حدود سياسية وثقافية نتيجة لعوامل جغرافية ودينية ولغوية وأقتصادية وعرقية ..بمعنى ان تلك الجماعة هي المحرك والمؤسس في تكوين الحضارة ، وتميزها عناصر ثقافية تستند على الأدب والفنون وتعبير عن تجاربها وفعالياتها ضمن دائرة التقاليد والأعراف والمعتقدات والعادات(٨).

فالثقافة المجتمعية مشكلة قد تناولها الكثير من الباحثون ضمن اختصاص يطلق عليه بـ "علم الفولكلور(*) والذي يحقق مقارنة بين العصور الحديثة من جهة ومن المعتقدات القديمة والعادات والتقاليد من جهة اخرى ..ودراسة مخلفات الماضي الذي لم يدون اذ أن كل مجتمع يفرز خطابه الثقافي الملائم لظروفه التاريخية وثقل تقاليده ولحاجاته المادية والروحية وفقا لثقافته الشعبية، اذا الفلكلور هو تعبير عن أنفعال عاطفي أو فكري يتخذ اللهجة العامية الدارجة أسلوباً مميز في التعبير الفني، والتي يتميز بها الفنان في نتاجاته الذي تصل اليه من الثقافة الأكاديمية في الاوساط المحيطة. ولكن مع ذلك فالبيئة الاجتماعية لا تخلو من أرهاف

الحس وبراءة العفوية في أطلاق المشاعر والأحاسيس وصدق يتجلى في رسم الصورة للبيئة الاجتماعية والفكرية[٩].

ومن سمات البيئة الثقافية الشعبية هو التداول الجماعي والتناقل الشفهي، والتداول يضفي على التراث الشعبي قاطبة روحه وطبيعته المميزة، فضلا" عن مجهولية (المؤلف) أو المبدع الأول، وهي أحدى نتائج عملية التداول وتبني المجموعة للأدب الشعبي، أن لكل نص شعبي أو غير شعبي –مؤلف- إلا أنها –شخصية المؤلف- تنصهر في الشخصية الجماعية وفي المزاج الشعبي، ومع مرور الزمن يغيب المؤلف الأصلي تبعاً لذلك وعندما تتناول المجموعة العمل الأدبي (الشعبي) يتعرض للتحرير والتبديل عبر رحلة الزمان والمكان وتبث فيه بعضاً من خصائصها فتلمس فيه الروح الجماعية والمضمون التقليدي (النسق المألوف) وعلى الرغم أن الأدب الشعبي يقوم على التداول الشفهي، إلا أنه لايمنع من أطلاق صفة الشعبي على الآداب المدونة- مثل ألف ليلة وليلة وغيرها. [١٠]

ونجد ايضا ضمن طيات البيئة الثقافية المثل او الامثال الشعبية وهي صيغة شعبية موغلة يستخدمها الأنسان الشعبي في حياته اليومية وهو مصطلح يدل على جنس أدبي شائع يوجد في تراث الأمم والشعوب على اختلاف عصورها ومراحلها ، ويتألف المثل من عدة كلمات تؤلف في مجموعها جملة قصيرة تشير الى نوع من السلوك له معنى أوسع من الخبرة أو الموقف المعين الذي تشير اليه الألفاظ، فهو يشير الى مفهوم مجرد يتمكن الفرد من فهمه واستعماله بعد أن يكون قد تخطى مرحلة معينة من مراحل نموه المعرفي وتؤلف الأمثال جزءاً مرموقاً من التراث الثقافي الشعبي الذي يشير الى النصائح والحكم ومنها ما يتضمن الأسباب والتفسيرات لسلوك معين. وهي "تعبير عن واقع معين في ظرف معين ينبع من البيئة ويتأثر بجوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية [١١] .

فلابد من الاشارة الى ان المعتقدات الدينية هي سلوك اجتماعي لا ينفصل عن البيئة الثقافية، بحكم حاجة المجتمع له والتداول وفق معاييره الادبية والاخلاقية وصار الدين جزءاً من تراث المجتمع ، يحفظ أدق الشعائر وممارسات الولادة والموت في حياتنا، ، يذكر عالم الاجتماع (فلاذروزبيتري) الذي دأب على تأكيد هذه المعتقدات التي كان يجمعها ويستمع اليها من فلاحي الفيوم بمصر والدلتا وقادته الى اكتشاف كنوزه من الآلاف من البرديات الأدبية والفلوكلورية التاريخية والشيء نفسه ما أشار اليه (ماسبيرو) و(كارتر) من الرواة الأثريين الذين عملوا في اكتشافات حفريات العالم العربي خاصة سوريا والعراق الذين درسوا وأخذوا حتى من –ألف ليلة وليلة- والنصوص الشفهية لفلاحي العراق [١٢] والتي كانت لها الاثر الكبير في نتاجات الكثير من الادباء والمفكرين والفنانين لان التراث والموروث جزء لا يتجزء من فكر ومخيلة الانسان والفنان على حدا سواء .

كما هو واضح أن المعتقدات الدينية تستند في أغلب الأحيان الى الفكر والقيم وكذلك على المعتقدات الخرافية وتصوراتها والتي ما تزال تتوارى في مجتمعاتنا والتي تتناول موضوعات الجن ومواطنهم ومصاهرتهم للأنس وقبائلهم الغيلان، السعالي أو السعلوة والعفاريت والنتراهات وسكان ما تحت الأرض.

الخ، يرجعها علماء الفولكلور منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وبشكل أخص سكان الجنوب، اليمن، القحطانيين. حيث لعب موقعها الجغرافي دوره في جلب هذه الأفكار والمعتقدات الخرافية من المجتمعات الأرية وبلاد فارس والهند، ومن ثم انتشرت الى بقية شعوب العالم العربي[١٣]

أن طروحات الفنانين بهذا الاتجاه تتضمن الأشكال والمفردات وعلاقة البيئة بالمجتمع اذ نجد العناصر الفنية الأخرى مكونةً نظاماً يدخل ضمن نسق عام متمثل في خصائص الفن الشعبي في انتاج اعمالا تقترب من الحداثة والمعاصرة ، فأعاده بلورة الأشكال وانتاج اعملا فنية دالة على وقائع واحداث من مجتمعه الخاص، وينبغي للنتاجات أن تلامس في الأقل وجهة نظر الثقافة المجتمعية ومأخوذة من ذاكرة شعبية محلية..، وهذا اسلوب يعتمد على توظيف معطيات التراث الشعبي والبيئة الثقافية في نتاج تشكيلي معاصر ، من خلال المزاوجة من المعطيات التراثية الشعبية والنص التشكيلي الحديث، وتشكل الخصائص والسمات الجمالية والدلالية للمفردات الشعبية باتجاه تعبيري يقترب من التجريد فكانت معالجتها الفنية تعتمد الاختزال والتبسيط او الواقعية والمحاكاة .

ومن خلال ما تقدم نجد أبرز عنصر في تعريف البيئة الثقافة تنتج من خلال سمات المجتمع بوصفه منتجاً ومستهلكاً لما انتج من أنماط التعبير الفني من خلال شخصية (الفنان)الذي استطاع ان يترجم الفكر والمفهوم الى نتاج مادي ،وكذلك استطاع ان الفنان يساهم في اظهار الثقافة الشعبية المرتبطة بالواقع الموضوعي للمجتمع ويعبر عن فكرة او حدث او ظاهرة مما قيل وكتب من القصة، الحدوتة، والامثال الشعبية والقصة الخرافية والشعر الشعبي وغيرها.

- **المبحث الثاني- البيئة الثقافية والية التوظيف في فن الخزف العراقي المعاصر:**

يرتبط مفهوم التوظيف بالجوانب الادائية والحرفية والمهنية، على الرغم من ان هذا المفهوم يحتاج قدرة عالية على تحليل الفكر الانساني وتشكيل الطبيعة البيئة المحيطة كركيزة أساسية تتيح الفرصة والمجال للفنان لإعادة انتاج ما حوله وما يدور في الصورة الذهنية التي تجدد فاعلية الفن واحيائه وتجديده والاستمرار به، فالتجريب هو التفكير باليد بمعنى إيجاد نتاج نابع من وراء فكر ثقافي جمعي واعي ، ويمثل هذا النشاطوسيلة تواصلية بين المجتمع والفنان وما يترتب عليه من مفاهيم فكرية يدرك المجتمع انها ذات قيمة تداولية..اذا فالعلاقات الاجتماعية الثقافية والاقتصادية والسياسية تشكل في حد ذاتها خبرة معرفي في خصوصية الرؤية الفنية الواعية للفنان ذاته وتكون الملاحظة الدقيقة والرصد الحاذق من قبل الفنان لمتغيرات الظواهر فإنها تنعكس في نتاجاته الادبية والفنية على حدا سواء[١٤].

وعليه فان الوظيفة في الفن وخصوصا فن الخزف لم تنفصل ولم تبتعد بل كانت الاساس الذي شغل المنجز الفني منذ العصور القديمة في فنون وادي الرافدين، على الرغم من اختلاف الوظائف ما بين جمالي صرف واجتماعي او ديني او نفعي وعلى اختلاف مستوياتها واستخداماتها التي ساهمت بشكل كبير في اغناء التجربة الفنية في حدودها هذا الفن.. داخل النسيج الاجتماعي الرافديني ان الخزف كنتاج انساني ارتبط بوظيفية

الاداء والجمال في آن واحد لكنه ما لبثت تدريجياً ان ينفصل عن الوظيفة لصالح الفن والجمال ، وهذا ما التمسناه في الكثير من الانجازات الفنية التي ظهرت في اتجاهات الحداثة وما بعد الحداثة , فقد ظل فن الخزف

وما زال نقطة اتصال بين الانسان وبيئته، بوصفه فناً تجاوز حدوده كوظيفة استعمالية او اداتية فقد انعكس نتاجه على ثقافة المجتمع من خلال جملة من الاشكال التي اتخذت مكانة مهمة في الفكر الانساني ،فمن الجدير بالذكر ان البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى الدينية والتي وظفت مفاهيمها في الاعمال الخزفية منذ القدم وحتى اليوم فانها تحمل رسالة معرفية لها مضامينها السيكولوجي والانثروبولوجي والفينومينولوجي والمثيولوجي بفعل الحدث او الاستراتيجيات الضاغطة على الفنان.. فكل منجز فني هو منجز ثقافة يحكي قصة حوارية تروي لنا منابع المعرفة الانسانية ، لذلك فالأساليب متنوعة وكذلك الاداء والاخراج من حيث الشكل واللون والحجم والخامة ونوع الزجاج ..الخ ،وعليه تكون النتاجات الفنية الخزفية هي ثقافة عصر حالها حال بقية الفنون الاخرى كالمسرح والموسيقى والادب والرواية والشعر وغيرها ، اذا فن الخزف له مكانة مهمة وكبيرة على خارطة التشكيل المعاصر [١٥].

هنا نستطيع القول بان الوظيفة ترتبط بفن الخزف عموماً على اختلاف مسمياتها وتصنيفاتها فمنها ما يكون مرتبط بمحاكاة الطبيعة الثقافية والاحكام المتوارثة من جيل الى جيل ومنها ما يتعلق بالعادات والتقاليد الاجتماعية وقد تكون متعلقة بالمعتقدات الدينية ، فمن خلال مكونات الشكل للعمل الفني نستطيع ان نكشف ونحلل خصائص كل عمل وما يرتقي اليه الفكر الذي انتج منه ،اذ يرى المفكر الانكليزي (ريتشارد هوكر) ان الوظيفة الفنية للأعمال الفنية والادبية تمتلك خاصية الجمال اذا ما تم توظيفه بشكل هادف ودقيق فالفن والادب هي رسالة انسانية تكون فيها أهداف خاصة او عامة فتؤدي هذه النتاجات وظيفة معينة وعادتا ما تكون هذه الاعمال ذات صلة بالبيئة الثقافية للمجتمع فيسعى الفنان دائما الى اخذ عينات ثقافية لها بتاثير مباشر بالمجتمع او قد تكون معالجة مشكلة ما يحاول من خلالها الفنان ان يستغلها في اداءه ومنجزاته الفنية كوسيلة ابداعية لربط العلاقات بين الأشياء المحيطة باعمال ذات طابع اكاديمي متقن, مشيراً إلى ثقافة المجتمع وعلاقتها بالفن كاداة تفاعلية مرتبط بالبيئة الانسانية[١٦].

ان طبيعة الفنان العراقي وعلاقته بالبيئة والمجتمع باتت من الأساليب التي تقوم على مفاهيم ومسميات مختلفة فقد ظهرت فنون ونتاجات تتارجح بين فكر الانسان وبيئته الثقافية ، وبطبيعة الحال تكون تأثيراتها مباشرة في الاعمال الفنية وهي تحمل عمق المفاهيم الاجتماعية الرافدينية كونها تعد العمود الفقري للفنان وخصوصا اذا ما وظفت الاسلوبية ذات طابع غرائبي يشمل في ذلك كسر التوقع ويحمل في طياته هاجس قلق وتعجب بالنسبة الى الجمهور المتلقي ، لان الأداء والحرفة والمهارة هي جزء اساسي في تنفيذ نتاجات ابداعية تمكن من ايصال ما يدور في منظومة الفنان المعرفية والفكرية على حدا سواء.

من الجدير بالذكر ان النتاجات الفنية الخزفية التي دخلت مضمار البيئة الثقافية للمجتمع والتي حاول الفنان العراقي ايجاد ثقافة جديدة واسلوب جديد ومتفرد خاص لكل فنان ، فضلا عن تأثير الثقافة الخارجية التي دخلت مجتمعنا العراقي ومن جملتها وسائل الاتصال الحديثة وانفتاح فنانينا على العالم كونه اصبح قرية

صغيرة مما ادى ذلك الى احداث نوع من التبادل المعرفي والفكري والاجتماعي ، فان تطور المجتمع ادى بالنتيجة الى تطور الفن ، ما هو الا تطور عنصر ثقافي بين عناصر لاخرى كالعلم والادب والفن والتنظيم الاجتماعي [١٧]. فجاءت طروحات بعض الخزافين العراقيين المعاصرين اللذين حاولوا الخروج عن المالوف الى نتاج ابداعي جديد ومعاصر متأثرة بحضارتهم وتقاليدهم الاجتماعية التي تحمل ثيمةالروحية العراقية الاصلية المتجذرة في تلك الاعمال كذلك ظهرت اعمالهم بتكرة بروحية تراثية محلية مستوحاة من البيئة الاجتماعية.

وعليه ان اغلب الأعمال يتم توثيقها من مفردات بيئية (اجتماعية تاريخية سياسية) تكون قد شغلت فكر الفنان واخذت من صورته الذهنية منطلقا في اتجاه الفن .. لان الية توظيف البيئة المحيطة في الفن تعد عملية تفاعلية قادرا على الافصاح عن ذاتية وادراك الفكري والادائي للفنان .. بوصفها مفاهيم راسخة في مخيلة الفنان فالبيئة المحيطة تشكل نقطة ارتقاء من أجل التوصل إلى موضوعية الفن ذاته,حيث أنها قد تأثرت ببعض الآراء الفكرية والمعرفية الجمعية, لتطور مفهوم التاثير والتاثر الانسان بالمجتمع تدريجياً إلى أسلوب جديد ومبتكر بعد محاولات من البحث الجاد عن الاختلاف او التغريب ..وتعد البيئة الثقافي عادتا باحثة عن أفكار جديدة في نتاجات الفنان التشكيلي لتتحدى وتبتكر من مرجعيات فنون سبقتها، وأساليب مشتقة من رحم الحياة والمجتمع والسياسة والاقتصاد وغيرها. ووصل هذا المشروع الحد إلى تجاوز حدود العمل الفني والمعرض والمتلقي بعد اندماج الوظيفة بحدود الزمان والمكان في عالم التشكيل وما يتعلق به من تبعات أداتيه في الخامة واللون والزجاج والحرق والاخراج وما يتعلق بها من تقنيات في التشكيل والتنفيذ ، قد تضاف لهذا الفن ..كما يرفض فن الخزف اليوم الخضوع لعمل واحد وهدف واحد ليصف أسلوباً جديداً كون المهارة الفنية التي تبحث في العلاقة بين مجموعة من العناصر وتفعيلها بين الأشياء بسياق مستحدث يشمل العرض والجمهور ، اذ يرى "شارل لالو" أن صلة الفن بالحياة, تكون على أوجه متعددة أن الفن نوع من كمال الحياة, اذا فهو نوعاً من الترف وسط الحياة الجادة المكتئبة, كما أنه يقوم بمهمة تطهير النفس بوصف العمل الفني ذو تاثير نفسي على الجمهور [١٨].

فقد تعددت النتاجات الفنية في مجال فن الخزف والية توظيف البيئة الثقافية العراقية ، فالأمثلة لا حدود لها ابتداءا من الفنان القبرصي (فالنتينوسكارالامبوس) كونه يعد المؤسس الاول لفن الخزف في العراق حيث كانت البيئة الرافدينية من اهم التاثيرات المباشرة التي كانت واضحة في اعماله ومنجزاته الخزفية وكما مبينة في الشكل (٥ – ٦) فقد ارتبطت اعماله بمفردات كانت على صلة بالبيئة التراثية الاصيلة والتي كانت مرسخة في الصورة الذهنية للخزاف (فالنتينوسكارالامبوس) فقد حقق الفنان تجربة اتسمت بالمحاكاة والتقليد بالبيئة الحضارية الرافدينية ، مما أعطى هذا الفن مفاتيح التعبير باساليب مختلفة فمن خلال التجريب المستمر في الفكر والتطبيق, باتت هناك علامات فنية مميزة تميز هذا الخزاف العالمي , بسمات فنية وجمالية لم تكن من قبل وظلت مستمرة حتى مغادرته العراق ، فقد كان تاثير البيئة الاجتماعية والثقافية مباشرة في الكثير من اعمال

الفنانين العراقيين امثال (سعد شاكر، طارق ابراهيم ، سهام السعودي، شنيار عبد الله، ماهر السامرائي وغيرهم)[١٩].

شكل ٥ بعض من اعمال الخزاف القبرصي

شكل ٦ (فالنتينوسكارالامبوس)

كونها ذات تاثير كبير على بنية الفكر المعرفي لدى الفنان العراقي بصورة عامة ، لذلك فالبيئة الثقافية لا تنفصل عن الرؤية المعرفية والادراكية للفنان كمبدأ محاكاة العالم الخارجي وهذا يعتمد عليه ما حققه الخزاف العراقي من وظيفة نفعية جمالية ابداعية تفاعلها بالبيئة المحيطة جعلت هذا الفن يتسم بثنائية مابين الجمالية والاداتية وان كان في كثير من الحقب السابقة يأخذ ابعاد رمزية أو عقائدية دينية وما الى ذلك. مما تطلب من الخزاف فاعلية اكبر لاظهار سمات وخصائص فنية جديدة تعتمد على المحاكاة للواقع الاجتماعي وما ينعكس من خلال التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

كما يرتبط مفهوم البيئة الثقافية لدى الخزاف الفنان ارتباطاً مباشراً مع الخامات واليات العمل والتنفيذ بتقنيات تتلائم مع نوع الطرح وكذلك بما يخدم كلية العمل ، وهنا تنصب علاقة جدلية في تأليف الأسلوب الفني للفنان ويأتي ذلك ضمن اختلاف الرؤى والميول والوعي بين فنان وآخر تؤدي الى ايجاد المناخ المناسب للفنان وتحقيق اسلوبه الفني الخاص اذ تظهر علاقة العناصر الشكلية بعضها مع بعض في كشف قصدية الفنان لما يشير اليه في تحديد بنية الموضوع تداخلها وتفاعلها اما بشكل بسيط يسهل قراءتها او بشكل معقد (شفرات) يصعب الافصاح عنها وهذه من أهم سمات العمل الفني الابداعي لكل فنان ، لأن العمل الفني هو شكل معبر عن رؤية خاصة بالفنان ذاته ورسالة ثقافية وفكرية مهمة موجهة الى الجمهور وبلغة وسيطة ، لذا لابد للفنان أن يكون متفهماً وحذر لتلك اللغة, حتى يمكن أن يعبر بها من خلال أشكاله التي يبتكرها من وحي افكاره ومخيلته الذهنية ، وعن طريق تنظيمه للخصائص التشكيلية والتعبيرية من خلال (الخامة) التي يتخذها وسيطاً لأشكاله. ومن ضرورية أن يضع في إعتباره ما إذا كان قد تم إستكشاف جميع الإمكانيات والتقنيات المختلفة للوسائط الفنية .. لأن النتاج الفني الناجح يحتل مكانة عالية ومرموقة إذا نفذت بصورة صحيحة ومتناغمة مع التصور العقلي والمعرفي ليحقق انسجام بينه وبين رؤية الجمهور النخبوي ، لذلك يجب مراعاة المفردات والعناصر التي يختارها وبعناية التي تهدف إلى تشكيل كيان متقن بشكل كامل[٢٠].

وإذا كانت وحدة العمل الفني تقاس بمدى أهمية ثقافة المجتمع في إطار كلي, بحيث تكون بينة كاملة ومنغلقة على ذاتها ، وأن كلية العمل الفني تفقد وحدتها في حالة حذف جزء أو إضافة جزء آخر، فإن تلك الوحدة تعني أن كل جزء يساهم في كفاءة الكل بالنسبة للوظيفة الموجود من أجلها، فإن النتاج الفني يعمق

بصيرة المتذوق, لربطها بدلالة منشئها وبيئتها الثقافية ، سواء كانت طبيعية أو صناعية او علمية , على النحو الذي رآه الفنان أثناء موقفه الجمالي تجاه البيئة وما يحيطه التي يستوحى منها مفردات أشكاله, ويعبر عن مشاعره نحوها ، فالعمل الفني القائم على التوليف بين الخامة وبين ما نقله الفنان من مفردات البيئة، يحوى مجموعة من عناصر الفكر الاجتماعي والثقافي في ان واحد , وهذه العناصر ليست ذات نمط واحد ثابت، بمعنى إنه على الرغم من تواجد كل هذه العناصر مجتمعة كظاهرة اجتماعية في كل عمل فني, إلا أن بعض هذه العناصر قد يؤدي دورا ثانويا متوارياً, والبعض الآخر يأخذ كياناً مميزاً مع كل عمل فني. فالمسألة ليست رياضية بحتة, بل أن هذا كله يحيلها إلى صيغ تشكيلية ذات معنى اخر مختلف [٢١].

وعليه وبناء على ما تقدم يتبين للباحث إن تاثير البيئة الثقافية هو محاكاة للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي باستخدام مفردات مستوحاة من عمق الارث الحضاري ويعتمد مرجعياتها حيث الانتماء التاريخي والجغرافي وهذا ما يفتح حوار ديالكتيكي جدلي ممتد من العصور القديمة وصولا إلى عصر الحداثة وما بعد الحداثة ، بحثا عن اشكاليات بصرية متحولة بين الواقعية والتجريدية على وفق ما تقتضيه شروط البيئة الثقافية والية توظيفها في فن الخزف ويكتسب مرجعياته من الواقع المادي لكن عناصره تفتقد خصوصياتها الأوليةمن تصوير وتشكيل واداء واخراج ، والتي تعطي ثراء في المعنى والتأويل ، أو توضيح مفهوم عن قضية او مشكلة ما ، والجمهور يدخل في التفاعل مع صيغة العمل واحيانا يغير ما قد بدأه الفنان في حدود العرض والاستعراض اذا هذا يتطلب تدريب حاسة البصر على التأمل والنظر وملاحظة البنية العميقة في البيئة الثقافية للمجتمع فضلا عن التأمل الحاذق الذي يأتي بالنظر إلى الأشياء مع ملاحظة شيء يكون متخفي خلف الاشياء ، وما يتطلب من الفنان هو بناء صورة ذهنية عقلانية تتمحور في نظام البناء و التركيب, وما يطرأ من تغيرات على عناصر الشكل اللون الحجم والحركة والخامة وايجاد علاقة هرمونية تشكيلية يتم إدراكها وتوازنها في بناء نتاج فني معين.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا ايضا ان البعد الجمالي للبيئة الثقافية هي لغة خطابية بمضمونها الاجتماعي التي حقق فيها الفن موضوعيته واصالته داخل بنية المجتمع على ان يكون ذلك مصاحبا للتجديد الذي اصبح ضرورة اجتماعية ، بمعنى كلما ازداد الوعي الجماهيري ازداد الخيال للمجتمع واصبحت افق القراءة الثقافية والمعرفية مصاحبة للغرائبية والصدمة في التعبير الفني والاداء والحرفة الذي لامسه المجتمع من قبل الفنان في انعكاس القيم الجمالية اذ ان عنصر الدهشة والصدمة غالباً مايفوق الخيال غرابة، لذا على السياق السوسيولوجي ان يكسر السياق والنسق المتعارف علية ويؤكد مصداقيته ومضمونه للبيئة الثقافية

مؤشرات الاطار النظري :

- ان من اهم المؤشرات التي تدور حول طبيعة البيئة الانسانية تجاه الفن هي (المعتقدات الدينية) بوصفها سلوك اجتماعي نابع من داخل بنية المجتمع وهو لا ينفصل عن البيئة الثقافية المجتمعية المحلية ، بحكم حاجة المجتمع الى من يقود افكاره ومفاهيمه وتوجهاته الحياتية وامور تدابير حل مشكلاته الدينية والدنيوية ، وصار الدين جزءاً مهيمن ورئيسي في المجتمع ،

- يتقدم (التراث)القيم الفكرية وهو خلاصة ما خلّفته ورثته الاجداد الحضارية للأجيال اللاحقة ، فالتراث يعد منهجا حضاريا وأبستمولوجيا في ثقافة المجتمع ،وتشكل بمجملها الجوهر الروحي لهوية المجتمع (الهوية الحضارية) وهذا الإطار الذي يشكل المحرك الرئيسي للصورة المهيمن للمجتمع ،ومن خلالها يتفاعل معها الفنان.

- يرتكز (التراث الشعبي)الفلكلورعلى فكر المجتمع ومايتعلق بمجموعة بشرية ترتبط بعناصر ثقافية تستند على الأدب والفنون وتعبير عن تجاربها وفعالياتها ضمن دائرة التقاليد والأعراف الاجتماعية ، وهذه التقاليد تتمحور ضمن اطار الأسطورة أو القصة أو الأمثال الشعبية والأحاجي هي في الأساس نوع من التراث الشعبي أو (الفلكلور) أو (المأثورات الشعبية) .

- اما عن (الثقافة الاقتصادية) فهي مفهوم يجمع ثمار الفكر الإنساني ، فنان وادباً، وعليه تُصور البيئة الاقتصادية كمنهج لفهم كيفية تكيف الإنسان للحياة الواقعية بما يتلاءم مع حاجات الانسان ومتطلباته ، وفتح افاق التطور التي تغير الثقافة من خلال سمات (المجتمع) وهذا يؤدي إلى تطوير منهج تصرفات الفرد نحو بيئة تنسجم مع مجتمعه ونحو ما يدور من حوله من قضايا ومشكلات اهمها ما يخص الجانب الاقتصادي، وهذه النظرة لها موقفان أولهما الموقف الذي يقر بموجبه من الوجود المادي الواقعي ويميزه ويعده فناً له اسلوبه الخاص به ، وهل يتفاعل معه وكيف يتم للانسان او الفنان ان يحيلها او ان يطرها في نتاجاته الفنية والجمالية ، أما الموقف الثاني فبموجبه يتم توضيح العلاقة بين علم الجمال وعلم الاجتماع والفلسفة قبل كل شيء إدخال سمات الترا وتفاعله في النتاج الفني .

اجراءات البحث

اولا: مجتمع البحث: من خلال ما جمع الباحث من عينة لمجتمع بحثه والتي تم احصائها ضمن اطار عنوان البحث الموسوم (البيئة الثقافية واثرها على الخزف العراقي المعاصر) ، وضمن الحدود الزمانية للفترة المحددة (١٩٦٥ – ٢٠١٠) ، تم ادراج قائمة المجتمع الاصلي لتشمل اعمال الخزافين العراقيين في صالات العرض الفنية داخل وخارج العراق فضلا عن الكتب والمجلات الفنية والاستعانة بشبكة الانترنت ، وبما يتلاءم وهدف البحث ، تم احصاء (٨٩٥) عملا خزفيا ، تم ادراجها على وفق الجدول الاتي:

اسم الفنان	عدد الاعمال الفنية	اسم الفنان	عدد الاعمال الفنية
سعد شاكر	88	كاظم غانم	9
محمد العريبي	25	اكرم ناجي	125
طارق ابراهيم	39	ثامر الخفاجي	15
شنيار عبد الله	74	ماهر السامرائي	266
قاسم نايف	86	سلام جميل	29
سهام السعودي	44	عبلة العزاوي	24
تركي حسين	34	احمد علاوي	37

ثانيا: عينة البحث: حددت عينة البحث من خلال اختيار (العينة القصدية) ، وبما يتلاءم هدف البحث ، اذ تم انتخاب عدد من الأعمال الخزفية على وفق ما تم تحديده ضمن مؤشرات الاطار النظري والتي سيلجأ الباحث الى تحليلها على هيئة مجاميع لتمثل((ظـــاهـــرة)) من حيث المحاور التالية التأثيرات الاقتصادية والموروث الحضاري والتي حددت محددات التحليل كاثر بيئي وثقافي من الظواهر التي اخذت حيزا كبيرا في فلسفة الخزف المعاصر العراقي .

ثالثا: منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي كمنهج لتحليل عينة البحث الحالي .

رابعا : تحليل العينة:

المجموعة الاولى :وتشمل هذه المجموعة الاعمال الخزفية تعكس الحياة الاقتصادية بما يتلاءم مع حاجات الانسان ومتطلباته كظاهرة مهمة ومحفزة للسوك الانساني الجمعي .

ماهر السامرائي

اكرم ناجي

محمد العريبي

تشكل البيئة الاقتصادية خطابا لا يخلو من الواقعية وبما يعكس الارتباط المباشر بمفاهيم الفكر الانساني وهذا ما يتيح للفنان ان ينفرد بخطاب الجمال والابداع متناولا بذلك حرية التعبير من خلال تفاعل الانسان مع البيئة الاقتصادية وبما ينسجم لبناء علاقة مشاركة بين الفنان وبيئته موضحا بذلك هوية الاستهلاك الاقتصادي بوصفها العنصر المهيمن على العالم المعاصر ،لقد كانت خطابات الخزافين العراقيين واضحة فظهرت الاشكال وهي تقترب من الطبيعة بفعل الواقع الاستعمالي والوظيفي للمادة الاستهلاكية للمجتمع بوجه خاص ، وان اهتمام الخزافين بانتاج فني ذو طابع استهلاكي يمثل خطابا (برغماتيا) يتمثل طبيعته بـــالنفعية وخطابها الاقتصادي مع ثقافة جوهر المجتمع.. اذ هي محاولة الجمع بين خطاب العودة للطبيعة والخطاب النفعي الاقتصادي ،فلم يتحقق الاستغناء كليا عن المنافع الاقتصادية الكبرى التي تحققت للمجتمعات بشكل عام والمجتمع العراقي بشكل خاص التطورات التقنية والصناعية التي حققتها النتاجات الخزفية ومن ثم استدعت الضرورة إلى الأخذ بعين الاعتبار تحقيق الفنان المنفعة الاقتصادية في مفهومه الفكري في صلب الممارسات الفنية المتعلقة بالبيئة الثقافية والجمالية الوظيفية وما حققته النتاجات الخزفية التي شكلت ظاهرة مهمة على صعيد الثقافة الاقتصادية في مجتمعنا المحلي ، وعليه فان الدعوة لانتاج اعمالا فنية خزفية تتطلب من الخزاف دراسة البيئة الثقافية وما تقتضيه الحالة الاقتصادية والتي تاتي متزامنة مع متطلبات نجاح العمل الفني ، وبدا عملية التفاعل بين العمل الفني وبين طبيعة البيئة الثقافية الاقتصادية للمجتمع ليكون حوارا مفتوحا لمشاركة المتلقي معه والإحاطة به والتفاعل معه .

المجموعة الثانية :وتشمل هذه المجموعة الاعمال الخزفية التي شكلت ظاهرة ذات صلة بالمعتقدات الدينية ، كذلك النتاجات الفنية الخزفية المتعلقة بالهوية الحضارية ، فضلا عن الاعمال ذات المنحى الفلكلوري الشعبي ، بوصفها ظاهرة اجتماعية مهمة نابعة من داخل بنية المجتمع التي تعد احد عناصر البيئة الثقافية العراقية .

ماهر السامرائى

طارق ابراهيم

اكرم ناجي

لقد شغلت الشعائر الدينية حيزا كبيرا في بنية المجتمع العراقي ، وأصبح الدين نظاماً سلوكياً اساسيا يقوم على معتقدات الفكر الاجتماعي النابعة من البيئة التاريخية المتجذرة بعمق الارث الحضاري الاسلامي ، فقد برزت ظاهرة الدين في الاعمال الفنية من خلال (الحرف العربي) الذي بدا واضحا في الكثير من نتاجات الخزافين العراقيين ، فقد ظهر الحرف مرة بصورة واقعية أي بشكل مقروءة وفصيح ، واخرى يظهر فيها الحرف العربي بهيئة رموز وعلامات مجردة ، معلنة بذلك عن خطاب حضاري وما للحرف العربي من قيمة ومنزلة مهمة شغلت الكثير من فنانينا التشكيليين بشكل عام وفنانين الخزف بشكل خاص .

كما اظهرت هذه المجموعة التمثلات الاستعارية للارث الحضاري الرافديني من حيث الشكل واللون والحركة وغيرها ، وحضور ايقونات البيئة التاريخية والاسطورية بصيغة معاصرة مبتكرة ، مع ما هو مادي او واقعي منقولا ايقونيا الارث الرافديني القديم ، واظهرت التشكيلات الخزفية +بأسلوبية منفتحة القراءة في تكوينها وبنائيتها وإحالتها الى الدلالية والمرجعية القديمة ، في حين اتخذت المضامين الفكرية والمعرفية وما لها مرجع يتجسر مع الفن السومري والاكدي والاشوري كما جاء في النماذج اعلاه من عينة البحث ، بحيث كانت النتاجات الخزفية مرتبطة بمفاهيم الخصوبة والنماء والقوة والديمومة والاحتفالات لتقديم القرابين للإلهة التي بثت خطابات ثقافية لمدلولات رمزية مشفرة في الفكر الرافديني في شكلت من نتاجات فنية اخذت حيز الرموز في بنى عميقة وعلاقتها بالقوى الغيبية ودلالات شكلت الرؤية الأسطورية الميتافيزيقية الغامضة وطابعها الفكري في بنية ضاغطة لتكشف رؤية التراث العراقي القديم وما لها من جماليات ثقافية ومعتقدات بقوى الماورائية والتي انعكست على النتاج الثقافي والادبي والفني للخزافين .

اما النتاجات الخزفية المتعلقة بالموروث الشعبي العراقي فهي نابعة من قيم روحية شكلت انعكاسا للتقاليد الاجتماعية ورؤية تواصلية تخاطب المتلقي من خلال الاحاسيس والمشاعر المتوارثة من جيل الى جيل، بمعنى ان الفلكلور الشعبي هو ظاهرة لها خصوصية سوسيولوجية اشتملت على استلهام مفردات البيئة من الواقع لكنها تتحدث بلغة الحداثة والمعاصرة ، اذا الخزاف العراقي المعاصر قدم صورة ذهنية اهتمت بإعادة

بناء الماضي من جديد ليكشف عن مضمون القدرة في التعبير عن المعنى التي ترمز لها تلك المفردات كـ (الشناشيل والقوارب والشمس والماء) وغيرها فكل هذه المفردات مقدسة وتحتل مكانة كبيرة في المجتمع العراقي ، وقد ظهر في الكثير من المواضيع التي تم تدوينها على المنحوتات الفخارية والألواح والمسلات وغيرها التي شكلت ثقافة معرفة اجتماعية في الثقافة العراقية المعاصرة .

فقد قدم الخزافين العراقيين المعاصرين نموذجا معرفيا من رحم البيئة الثقافية كتجربة ناتجة من صراع الثقافة المحلية المتمثلة بالتراث الاسلامي وكذلك الحضارة الرافدينية العريقة فضلا عن الموروث الشعبي الفلكلوري ، اذ تعد هذه المفاهيم كرمز للحضارة العراقية المعاصرة ، المستلهمة مفرداتها رحم البيئة العراقية ، فكانت تقدم انطباع روحي ووجداني، لذلك فان تعامل الفنان مع هذه المفردات الثقافية كمادة لها فعلها الضاغط والمهيمن في البنية الثقافية والفنية للمجتمع العراقي المعاصر ، ويتعين على الفنان بأن تكون هذه المفردات أكثر من كونها مجرد موجودات (مادية)، وعليه تُشكل هذه النتاجات الفنية الخزفية لغة تعبير عن المشاعر والقيم الجمالية والاجتماعية الفلكلورية التي تقوم على أنعكاس لهوية الموروث الحضاري والشعبي، والتي تحكمه دينامية الانفتاح والانغلاق حسب رؤية الفنان وثقافته العلمية في ايجاد ايقونات مميزة لنتاجه الخزفي حسب ما تكيفه الظروف وطبيعة الفنان وعلاقته بالمجتمع ،

لقد اخذت الحرف العربي والارث الحضاري والشعبي مسارا طويلا في بنية الخزف العراقي القديم والمعاصر وتشير الدلالات الا ان هذه المفردات كانت تظهر وتبرز بشكل مغاير واسلوب جديد يغلب علية طابع الاختزال والتجريد بحيث كانت قراءته منفتحة التاويل من حيث تفسير او تحليل المعنى كما مبين اعلاه في نتاجات الخزافين ، لتكشف عن طبيعة النصوص الابداعية برؤية حضارية وثقافة اجتماعية نابعة من جوهر الفن العراقي ، والذي نال عناية مميزة من قبل الفنان العراقي واهتمامه وإغناء تجاربه الفنية باساليب عدة من الواقعية الكلاسيكية او التجريدية والتعبيرية والرمزية وغيرها من المدارس الفنية الحديثة ، فكان الفنان الخزاف له القدرة على تغيير وتحول خامة الطين البسيطة إلى نتاجات متحرك تحمل دلالات فكرية وجمالية ابداعية .

الفصل الرابع:

- **نتائج البحث**

من خلال ما جاء في البحث الحالي في الفصول السابقة ، وما الت اليه مؤشرات الاطار النظري ، وتحليل العينة ، فقد توصل الباحث الى النتائج الاتية :

❖ اظهرت بعض الاعمال الفنية الخزفية ذات تاثير(الحرف العربي) وهي تحمل دلالات ونصوص (لآيات قرآنية) ،حيث استلهمت من بيئاتها الثقافية جذورالتراث الاسلامي، بحيث وظفت هذه (الآيات) باسلوبمعاصرذو رؤية عميقة تتعلق بالثقافة الشعبية الاسلامية المحلية ،وهذا ما يعكسالمفاهيم الثقافية بالحضارة العربية الشرقية ، وما لها من تواصل بين حضارة الماضي وحداثة المعاصرة التي يغلب عليها طابع التعبيرية والرمزية والغرائبية وما اشارت اليه هذه النتاجات ، انفتاح التاويل وتعدد القراءة في التحليل والتفسير مما يعطي اكثر من معنى في عمل فني واحد .

❖ اظهرت مجموعة من الاعمال الخزفية والمستمدة من الارث الحضاري الرافديني القديم ، فشكلت بيئتها الثقافية التاريخية والاسطورية من الفن السومري والاكدي والبابلي والاشوري ، فشكلت هذه النتاجات الثقافية من الرموز الايقونية والدلالات الفكرية ،التي ظهرت من خلال رؤية البيئة الأسطورية الميتافيزيقية للحضارة العراقية القديمة .

❖ ظهرت قسم من الاعمال الخزفية ذات تاثير بالبيئة الثقافية المحلية المتمثلة بالموروث الشعبي (الفلكلوري)النابع من قيم روحية شكلت انعكاسا للتقاليد والاعراف الاجتماعية ذات رؤية تواصلية مع الصورة الذهنية للمتلقي من خلال تداول مفردات الفلكلور الشعبي في صياغة الاعمال الفنية الخزفية بحيث كانت هذه النتاجات ظاهرة ثقافية مهمة في المجتمع العراقي ، لما لها من خصوصية سيكولوجية وميثولوجيه اشتملت على استلهام مفردات البيئة الثقافية من الواقع المادي المحلي فظهرت مفردات الشناشيل والقباب والابواب وغيرها من الالوان ، فقد عبرت عن المشاعر القيم الجمالية والاجتماعية الفلكلورية التي تقوم على أنعكاس لهوية الموروث الشعبي المحلي العراقي .

❖ اظهرت نماذج الاعمال الخزفية ذات تاثير بالبيئة الثقافية المتعلقة بالجانب المادي الاقتصادي والذي لا يخلو من البيئة الواقعية ، فقد اظهرت هذه النتاجات انعكاسا مباشرا بمفاهيم الفكر الانساني والتجربة الحياتية ، فكانت الاعمال الفنية ذات منحى ثقافي مرتبط مع ذاتية الانسان وتفاعله مع البيئة المكانية او الجغرافية ، وبما ينسجم لبناء علاقة مفاهيمية مشتركة بين الفنان وبيئته المحلية موضحا بذلك من خلال نتاجاته الفنية افاق هوية الثقافة الاقتصادية بوصفها العنصر المهيمن في هذا العالم وخصوصا المعاصر، فقد كانت هذه النتاجات تفاعلية بين العمل الفني وبين طبيعتها البيئة الثقافية والاقتصادية للمجتمع لتكون هذه الاعمال حوارا مفتوحا لمشاركة المتلقي معه والإحاطة به والتفاعل معه .

- **الاستنتاجات :**

من خلال ما جاء من نتائج البحث الحالي ، يتبين للباحث ان البيئة الثقافية هي مصدر الطاقة للفن العراقي قديما وحديثا ، وعليه تكون تأثيرات البيئة الثقافية على جميع الاصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وطبيعة الحال فان خصوصية النتاجات الفنية الخزفية تمثل انعكاسا مباشرا لكل ما تمر به البيئة الثقافة العراقية من احداث وثورات فكرية ومعرفية.. وعليه فيكون على عاتق الفنان مسؤولية كبيرة في هذا الجانب ، لذلك يجب ان يكون الفنان مفكرا وناقدا كي يستطيع ان يحلل ويفسر ويكشف وينقب عن المشاكل والخفي ما لا يمكن للانسان العادي ان يكشفه، وبذلك يستطيع الفنان ان يحاور ويخاطب المجتمع والجمهور من خلال نتاجاته الفنية الخزفية بصورة تفاعلية وتواصلية ، بمعنى ان الفنان هو جزء لا يتجزأ من طبيعة المجتمع ومن بيئته الثقافية.

هوامش البحث

[١] احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٣٦.

[٢] رشيد الحمد و محمد سعيد صباريني ، البيئة ومشكلاتها ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ ، ص ١٤ .

[٣] البروفيسور روي هاريسون من درس الجغرافيا والأرض والعلوم البيئية من الملكة البريطانية الثانية برمنغهام .. وهو أحد أشهر علماء البيئة المعروفين عالمياً ويشغل حالياً منصب رئيس اللجنة الإستراتيجية للبيئة

والتلـوث والصـحة لمجلـس البيئـة الطبيعيـة البريطـاني .http://www.birmingham.ac.uk/staff/profiles/gees/harrison-roy.aspx

[٤] محمد السيد غلاب ، البيئة والمجتمع، الدار المصرية للطباعة،ط٢، الاسكندرية ،١٩٥٥ ،ص ٤.

[*] الأنتروبولوجية:- تعني حرفياً (علم دراسة الأنسان) أو ذلك الفرع من دراسة الأنسان الذي ينظر اليه من حيث علاقته، راجع قاموس مصطلحات الأنتوبولوجيا والفلكلور، (((أيكه، هولتكريس، قاموس مصطلحات الانتربولوجيا والفلكلور، ت. محمد الجوهري، القاهرة، ١٩٧٢.)))

[٥] االعطية، زهير، العمارة التراثية، مجلة آفاق عربية، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، العدد الثالث، ١٩٧٩، ص٩٣.

[٦] صالح عامر، أستلهام التراث، مجلة الرواد، العدد الأول سنة٥ تصدر عن ملتقى الرواد، بغداد، ٢٠٠٠، ص١٣٦.

[٧] سيد أحمد عزيز، العادات والتقالي الشعبية، مجلة مأثورات شعبية، تصدر عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، قطر، العدد ١٢، ١٩٨٨، ص٤٢.

[٨] الخوري، لطفي، مدخل الى البحث الميداني في الفلكلور، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ص٩٧.

[*] عد الفلكلور علماً مستقلاً ولكنه فرع من أثنولوجيا (الأنتربولوجيا الثقافية) في المؤتمر الفلكلوري في آرينهم عام ١٩٥٥، راجع، العنتيل، فوزي، بين الفلكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨، ص٣١.

[٩] النوري، علي مجيد، الشعر العربي الفولكلوري، مجلة التراث الشعبي، العدد التاسع، بغداد، ١٩٧٤، ص١٠٧.

[١٠] نبيلة أبراهيم، القصص الشعبي، مجلة مأثروات شعبية، المركز الفولكلوري لدول الخليج، قطر، العدد الثالث، ١٩٨٦، ص٤٩.

[١١] العيسى، جهينة وآخرون، الأمثال الشعبية الشائعة في المجتمع القطريـ مجلة دراسات الخليج العربي، العدد ٩، ١٩٧٧، ص٦٩.

[١٢] محمد علي أبو ريان زيان، تصنيف التراث الشعبي ومدى أرتباطه بالعلوم الأنسانية، مجلة مأثورات شعبية، قطر، العدد الثاني عشر، ١٩٨٨، ص٤٢.

[١٣] شوقي عبد الحكيم، الفلكلور والاساطير العربية، دار ابن خلدون، ط٢، بيروت، ١٩٨٣، ص١٢٩.

[١٤] ويبن جورج كولنجورد ، مباديء الفن، ترجمة: احمد حمدي محمود، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٤٩.

١Thames&Hudson: Dictionary of Art Terms, p١١٨-١١٩.

[١٦] Richards Hooker, The Works of that Learned and Judicious , Pinine , mr.Hooker, p. ٢٠٠.

[١٧] مونرو توماس، التطور في الفنون، ت محمد ابو درة واخرون، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص ٣٤٣.

[١٨] عبد الفتاح رياض، التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٣ ، ص٩٣ .

[١٩] جواد الزبيدي، الخزف الفني المعاصر في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، الموسوعة الصغيرة، العدد٢٢٧ لسنة١٩٨٦.

[٢٠] نوري الراوي، تأملات في الفن العراقي الحديث، مديرية الفنون والثقافة الفنية، ١٩٦٢ ، ص ٣٨.

[٢١] تقي الدباغ،من القرية الى المدينة الأولى- موسوعة المدينة والحياة المدنية، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨ ص٨٥ .

قائمة المصادر :

- احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، بيروت، ١٩٧٨ .
- اديثكيرزويل ، عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو ، ترجمة جابر عصفور ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥،
- ايكه هولتكرانس ، قاموس مصطلحات الاثنرولوجيا والفلكلور ، ت: محمد الجواهري ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢ ،
- أيكه، هولتكريس، قاموس مصطلحات الانتربولوجيا والفلكلور، ت. محمد الجوهري، القاهرة، ١٩٧٢
- بلاسم محمد جاسم، الفن التشكيلي قراءة سيميائية في انساق الرسم ، دار المجدلاوي ، الاردن ، ط١، ٢٠٠٨
- تقي الدباغ، من القرية الى المدينة الأولى- موسوعة المدينة والحياة المدنية، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨
- جواد الزبيدي، الخزف الفني المعاصر في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، الموسوعة الصغيرة، العدد٢٢٧ لسنة١٩٨٦.
- حسين مؤنس ، الحضارة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون الادب ، الكويت ١٩٨٧
- الخوري، لطفي، مدخل الى البحث الميداني في الفلكلور، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦،

- ديفيد انغيلز ، جون هغسون ، سوسيولوجيا الفن طرق للرؤية ، ت: ليلى الموسوي ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب ، العدد ٣٤١، الكويت ٢٠٠٧
- دينس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ت : منير العيداني ، المنظمة العربية للترجمة ، ط ١ ، ٢٠٠٧
- رشيد الحمد و محمد سعيد صباريني ، البيئة ومشكلاتها ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠.
- سيد أحمد عزيز، العادات والتقالي الشعبية، مجلة مأثورات شعبية، تصدر عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، قطر، العدد ١٢، ١٩٨٨
- شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، سلسلة عالم المعرفة ٢٦٧ ، الكويت ٢٠٠١
- شوقي عبد الحكيم، الفلكلور والاساطير العربية، دار ابن خلدون، ط٢، بيروت، ١٩٨٣،
- صالح عامر، أستلهام التراث، مجلة الرواد، العدد الأول سنةo تصدر عن ملتقى الرواد، بغداد، ٢٠٠٠
- عبد الفتاح رياض، التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٣
- العطية، زهير، العمارة التراثية، مجلة آفاق عربية، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، العدد الثالث، ١٩٧٩
- العنتيل، فوزي، بين الفلكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨
- العيسى، جهينة وآخرون، الأمثال الشعبية الشائعة في المجتمع القطريـ مجلة دراسات الخليج العربي، العدد ٩، ١٩٧٧
- محمد السيد غلاب ، البيئة والمجتمع، الدار المصرية للطباعة،ط٢، الاسكندرية ،١٩٥٥
- محمد علي أبو ريان زيان، تصنيف التراث الشعبي ومدى أرتباطه بالعلوم الأنسانية، مجلة مأثورات شعبية، قطر، العدد الثاني عشر، ١٩٨٨
- المعجم الفلسفي المعاصر : مجموعة علماء السوفيت، دار التقدم، موسكو، ترجمة توفيق سلوك.
- مونرو توماس ، التطور في الفنون ، ت : محمد على ابو درة ، مراجعة : احمد نجيب ، الجزء ١ ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٧١
- مونرو توماس، التطور في الفنون، ت محمد ابو درة واخرون، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢
- ميشيل، دنكن: معجم علم الاجتماع ، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة الكتب المترجمة ، ١٩٧٠ .
- نبيلة أبراهيم، القصص الشعبي، مجلة مأثورات شعبية، المركز الفولكلوري لدول الخليج، قطر، العدد الثالث، ١٩٨٦
- نوري الراوي، تأملات في الفن العراقي الحديث، مديرية الفنون والثقافة الفنية، ١٩٦٢
- النوري، علي مجيد، الشعر العربي الفولكلوري، مجلة التراث الشعبي، العدد التاسع، بغداد، ١٩٧٤،
- ويين جورج كولنجورد ، مباديء الفن، ترجمة: احمد حمدي محمود، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٦٦.

المصادر الاجنبية :

- Richard schechner: Environmental theater , new library of congress cataloging publication data, new york, first applause , ١٩٩٤, p. ix.
- Richards Hooker, The Works of that Learned and Judicious , Pinine , mr.Hooker
- Thames&Hudson: Dictionary of Art Terms.

http://www.birmingham.ac.uk/staff/profiles/gees/harrison-roy.aspx